بسم الله الرحمن الرحيم

کتابخانه جامع
جامعة العلوم
معاونت پژوهش
مرکز جهانی علوم اسلامی
تأسیس ۱۳۸۵

الشرور والعدل الإلهي

الأُستاذ المشرف
عزالدين رضانژاد

الأُستاذ المساعد
عبدالرحيم سليمانى

بقلم
عبدالله الخزرجي

کتابخانه جامع مرکز جهانی علوم اسلامی
شماره ثبت: ۱۴۶۴
تاریخ ثبت:

الإهداء

إلى مهجة قلب الرسول ﷺ .

إلى حبيبة المصطفى وسرّ الرسول ﷺ .

إلى سيدة نساء العالمين ، من الأولين والآخرين .

إلى الصديقة الكبرى ، التي دارت عليها القرون الأُولى .

إلى من قال لها النبي فداك أبي وأُمي .

أهدي هذا الجهد المتواضع ، إلى سيدتي ومولاتي ، فاطمة الزهراء عليها السلام .

راجياً من الله تعالى شفاعتها ، يوم لا ينفع مال ولا بنون ، إلّا من أتى الله بقلب سليم .

شكر وتقدير

- أود أن أقدم جزيل شكري وعظيم تقديري للأُستاذ الشيخ عزالدين رضانژاد لتلقّيه مسؤولية الأُستاذ المشرف على هذه الرسالة .
- والأُستاذ الشيخ عبدالرحيم سليماني لتكفّله مهمة الأُستاذ المساعد لهذه الرسالة .
- وأُستاذي الشيخ مرتضى جوادي آملي لمراجعته جزءاً من هذه الرسالة .
- وأخي العزيز والمحترم صاحب الفضيلة الشيخ علاء الحسون لاضطلاعه مهمة مراجعة هذه الرسالة ، وإبدائه الملاحظات المفيدة.

تصدير

إنّ الساحة العلمية في عالمنا المعاصر تشهد كميّة هائلة من الشكوك والتساؤلات ، وقد تسرّبت هذه الشكوك في أذهان الكثير من طبقة شبابنا المثقّف ، وهذا ما دفع البعض إلى الاستياء من إثارة الشكوك في ساحاتنا العلمية ، ولكن ياتُرى هل من الصحيح أن نقابل هذه الشكوك والتساؤلات بالأسف وروح التشاؤم ؟

بالطبع ، كلّا .. إنّنا لا نعتقد أنّ هذه الشكوك تدعو إلى القلق ، لأنّ الشكّ مقدّمة لليقين ، والسؤال مقدّمة للوصول إلى النتيجة ، فلا ينبغي لنا أن نرمي ساحتنا العلمية بتهمة الانحراف لمجرّد وجود الشكوك والتساؤلات فيها ، لأنّ هذه الشكوك ليست أفضل من الهدوء والاستقرار الساذج .

وتعتبر مسألة الشرور ومدى علاقتها بالعدل الإلهي من جملة المسائل التي أُثيرت

حولها الكثير من الشكوك والتساؤلات .

فاعتبر الملاحدة وغيرهم من جهة بأنّ الشرور في العالم تنافي عدل الله تعالى ، وسعى المتألّهون من جهة أُخرى أن يجدوا حلّاً لهذه المسألة بحيث لا تنافي وجود الشرور العدل الإلهي .

وهذا الاختلاف في الرأي بين المتألّهين والملحدين في مسألة الشرّ دفعني لاختيار هذا الموضوع فتناولته بدراسة مستقلّة ومنظّمة تعتمد على العقل والنقل من أجل حلّ هذه المسألة العويصة المطروحة على الصعيد العلمي والثقافي بشكل واسع .

فجاءت هذه الرسالة لتحلّل وتدرس بدقّة الأُطروحات المختلفة للمتألّهين والمفكّرين في مواجهة مسألة الشرّ .

الفصل الأوّل

الأُمور العامّة

أهميّة البحث، ٨
لمحة تاريخية إلى مسألة الشرّ، ١١
مسألة الشرّ في الحضارات والأديان، ١٣
العدل والشرّ في اللغة والإصطلاح، ٢٧

أهميّة البحث

إنّ وجود الشرور في عالم الإمكان يدفع كلّ إنسان متفكّر ومتأمّل إلى معرفة الأسباب المؤدّية إلى نشوء هذه الشرور، كما ينقدح في الخاطر أليس خالق الكون بعادل وحكيم فلماذا إذن هذه الشرور الكثيرة، ألا يوجد تنافي بين هذه الشرور وبين عدل الله تعالى؟

ويعود منشأ إثارة هذه المسألة إلى أوائل حياة البشر، ولهذا امتازت هذه المسألة بالأهمية في المباحث الكلامية والفلسفية، وقد اعتبرت في القرنين الأخيرين من أهمّ مباحث الكلام الجديد وفلسفة الدين وهذا ما زاد في حساسيتها عند الموافقين والمخالفين للفكر الديني.

وتكمن أهمية الشبهة المثارة ضدّ الشرور في أنّها ترتبط بأهمّ أصل في الأديان

الإلهية وهو إثبات أو نفي وجود الله تعالى أو تقييد وتحديد صفاته .

والمخالفين للفكر الديني في الواقع لهم هدفان في طرح هذه الشبهة :

الهدف الأوّل : تحديد أحد الصفات الثلاثة لله تعالى « العلم والقدرة والعدل » فذهبوا إلى أنّ إله الأديان السماوية ليس بعالم على الإطلاق وليس بقادر على الإطلاق وليس بعادل على الإطلاق .

الهدف الثاني : إثبات أنّ وجود الشرّ يتنافى مع أصل وجود الله تعالى فقالوا أنّ وجود الشرّ لا ينسجم مع وجود الله تعالى ، فإذا أثبتنا وجود الشرّ ـ وهو موجود ـ فهو دليل على عدم وجود الله تعالى .

ومن هذا المنطلق أقام بعض الملحدين من قبيل « جي . ال . مكي » و « مك كلوسكي » البرهان العقلي ـ حسب الظاهر ـ على عدم وجود الله في حين أنّ المنكرين لوجود الله كانوا يقولون أنّ براهين إثبات الله غير صحيحة ولكن لم يدّعوا وجود دليل منطقي على عدم وجود الله . فإنّ الملحدين أمثال « ديويد هيوم » و « برتراند راسل » مع إنكارهم لوجود الله تعالى ونقدهم لبراهين إثبات وجود الله سبحانه ذهبوا إلى عدم وجود دليل على النفي أيضاً فهم في حيرة وشكّ وترديد . وثمار الشبهة الثانية خطيرة جدّاً حيث إنّ الملحدين من الفلاسفة إضافة إلى نقدهم لبراهين إثبات وجود الله ادّعوا أنّ هناك دليل على عدم وجود الله تعالى[1].

---

١ . قراملكى ، خدا و مسأله شر ، ص ١٠ (بالفارسية) .

والشيء الآخر الذي يميّز مسألة الشرّ عن غيرها من المسائل الكلامية والفلسفية هو شمولية هذه الشبهة وإمكان طرحها بين عامّة الناس .

فمن هنا لزم على المتكلّم والفيلسوف أن يواجه جبهتين مختلفتين « جبهة ملاحدة الفلاسفة وجبهة العوام » وعليه أن يقدّم أجوبة تقنع كلا الطرفين .

لمحة تاريخية إلى مسألة الشرّ

إنّ قضية الشرّ صاحبت الإنسانية منذ بداية نشأة الإنسان ثمّ سايرتها في جميع مراحلها وهي لا تزال تشغل حيّزاً من تفكير الإنسان .

واختلفت البشرية في وعيها لمقولة الشرّ وطريقة تعاطيها مع هذه الظاهرة تبعاً لاختلاف مستواها الفكري واختلاف رؤيتها الكونية وهذا ما يفسّر لنا أسباب النظريات التي برزت على هذا الصعيد .

لقد تلابست فكرة الشرّ مع فكرة الشيطان منذ القدم ، من دون أن يعني أنّ الشرّ ينحصر بالشيطان وحده .

ومنذ البدء انطلق الذهن الإنساني في إثارة أسئلة محورية عن الشرّ : هل الشرّ قوّة أصيلة ؟ هل هو قوّة إيجابية فاعلة ؟ هل هو قوّة سلبية ؟ هل هو عدم الخير ؟ هل هو نقص

الخير ؟ هل هو عقبة في طريق الخير ؟ هل هو عقبة تريد وتعمل ما تريد ؟ هل هو عقبة لا إرادة لها ولكنّها تضاعف جهود الخير وتستدعيه إلى مزيد من الحركة والثبات[1]؟

كانت الخميرة التي واجه بها الذهن الإنساني هذه الأسئلة إنّ أي فكرة عن الشرّ قد تمثّلت في حقيقتها في صورة من صور الشيطان ، فالشيطان هو الشرّ والشرّ هو الشيطان . ثمّ اتّسعت الرؤية ليكون الشرّ أرواحاً ضارّة متفرّقة ، ثمّ صار قوّة فعّالة معادلة لقوّة الخير عند الثنويين ، ففي الوجود خير وشرّ كما فيه نهار وليل ، ومن ثمّ ليس الشرّ هو مجرّد عدم الخير . وعلى خطّ موازٍ لهذه التصوّرات برز التصوّر التوحيدي الذي آمن بأنّ الله هو الخالق المبدع القائم بذاته ولا وجود للشرّ إلّا بمشيئته وتقديره ، فلا يقوم الشرّ في هذه الدنيا بذاته مستقلاً عن الله[2].

---

١ . العقّاد ، إبليس ص٢٣٢ .

٢ . المصدر السابق ص٢٣٣ .

مسألة الشرّ في الحضارات والأديان

على هذا الضوء لم تكد تخلو حضارة من حضارات الإنسان من تنظير لقوّة الشرّ في الكون والوجود والحياة .

الحضارة المصرية ومسألة الشرّ

فعند المصريين القدماء اكتسب الشرّ المتمثّل بالإله « ست » إله الظلام ، صورة الأخ الشرّير والحاكم المغتصب والمفسد الذي يعبث في الأرض الفساد ويخرج عن المألوف[1].

---

١ . العقاد ، إبليس ص ٢٤٤ ـ ٢٥١ .

الحضارة الهندية ومسألة الشرّ

أمّا الحضارة الهندية فقد انطلقت من عقيدة تؤمن بأنّ العالم المحسوس شرّ وباطل ومن ثمّ فإنّ علاقات الإنسان بهذا العالم وما يربطه به شرّ وباطل مثله ، فالإنسان مدفوع في هذه العلاقة بدوافع الشهوة واللذّة ، و « المرأة » أو « الأُنوثة » هي مركز تتجمّع فيه هذه الفتن قاطبة ، فهم يطلقون على العالم المحسوس كلّه أنّه « مايا » أو وهم وضلالة ، ويصوّرون « المايا » في صورة أُنثى شديدة الفتنة والغواية ، ويمثّلون جمال العالم المحسوس بجمال الأُنثى التي تستعين بالغريزة الجنسية على خداع المفتونين عن الحقيقة.

كما يبرز في الثقافة الهندية كرمزين للشرّ إسمان أوّلهما « المارا » الذي قيل أنّه وسوس لبوذا وألمّ في وسواسه ليشغله عن النسك ويصرفه عن مسلكه في الحكمة و « الراكشا » وهي الأرواح الشيطانية . على ضوء هذا التصوّر الذي يتعاطى مع الوجود المحسوس على أنّه باطل وغواية يصرف الإنسان عن مسلك الزهد ، تلخّصت رؤية الحضارة الهندية إلى أنّ الشرّ الكوني هو الشرّ النفسي الذي يخامر الضمير الإنساني ويزيّن له ترك الحكمة والإقبال على الأوهام والأباطيل[1].

وإنّ أقدم نصّ ديني تناول مبحث الشرّ هو مذهب الهندوس « كتاب ريك ودا ـ

---

١ . المصدر السابق ص٢٥٢ ـ ٢٥٨ .

سامهيتا » وهو الأثر الذي يرجع قدمته إلى ١٢ أو ١٥ قرناً قبل الميلاد[١].

حضارة ما بين النهرين ومسألة الشرّ

لو تركنا الهند إلى حضارة بين النهرين سنلحظ أنّ هذه الحضارة ربطت حركة الخير والشرّ بالكواكب ، وعلّقت مصائر الناس وأقدارهم بسعودها ونحوسها ، فلا يسعد إنسان بنعمة السماء ولا يشقى بغضبها إلّا وهو في الحالتين عرضة للقضاء المسطور في أزياج النجوم . فلا همّ للبابلي في سرّه وعلانيته إلّا أن يستطلع إرادة النجوم وموافقة هواها لكي ينجو من النحس والشرّ ويصير في عداد السعادة والخير .

على هذا مضى صراع الخير والشرّ بين الأرباب العلوية التي تمثّلها كواكب السماء وربّة الأرض « تيامات » التي تتحدّى السماء وتحلّق في جوفها الحيّات والحيتان لتوطيد سلطانها[٢].

الحضارة المجوسية ومسألة الشرّ

لقد كان للحضارة المجوسية وثقافة فارس مساهمتها في قوّة الشرّ من خلال عقيدة الثنوية أو تنازع النور والظلام على سيادة الوجود . فالله في هذه الثقافة لا علاقة له بقوّة

---

١ . قراملكى ، خدا و مسأله شر ص ١٣ (بالفارسية) .

٢ . العقاد ، إبليس ص٢٥٩ ـ ٢٦٣ .

الشرّ ومظاهره كالنار والماء والظلام مثلاً لأنّ هذه مهلكات ولا ينبغي لله أن يخلق المهلكات . وعليه فالكون يحكمه إلهان أحدهما إله الملأ الأعلى وهو ربّ الخير والنور ، والآخر إله العالم الأسفل ، عالم الشرّ والظلام الذي شنّها حرباً لا تزال حتّى اليوم حامية الاوار ضدّ إله الخير ومظاهر الخير ، فمن عمل خيراً من الناس فهو خادم الإله الأعلى ، ومن عمل شرّاً منهم فهو خادم الإله الأسفل .

هكذا يضحى الوجود في هذه العقيدة قسمة بين النور والظلام ، بين الإله الأعلى والإله الأسفل ، بين إله الخير والنور وإله الشرّ والظلام ، بين « اورمزد » الروح الطيّب و « اهرمان » الروح الخبيث[1].

وأقدم نصّ ديني لهم هو كتاب « اوستا » ، ويرجع قدمته إلى قرنين قبل الميلاد ويبدو أنّ أوستا لم يجد لها حلاًّ سوى نسبته إلى إله آخر[2].

الحضارة اليونانية ومسألة الشرّ

تكتسب قوّة الشرّ من نظام الوجود وضعاً في الحضارة اليونانية يكاد يكون مختلفاً عمّا هو عليه في الحضارات الأُخر . فقوّة الشرّ في الحضارات الشرقية مغضوب عليها لأنّها تضرّ وتفسد وتدسّ الغواية على الإنسان فتكون القيم الصالحة في جانب الآلهة ،

---

١ . المصدر السابق ص٢٦٣ ـ ٢٦٦ وأيضاً ص٣٢٥ فما بعد .

٢ . قراملكى ، خدا و مسأله شر ص ١٣ (بالفارسية) .

والقيم الفاسدة والخبيثة في جانب قوّة الشرّ أو الشيطان وربما بجانب آلهة الشرّ أو رموزه الأُلوهية .

لكن الأمر يأخذ منحىً آخر في معايير اليونانيين ، عندما يكتسب هذه الصورة الشوهاء كبير الأرباب « زيوس » الذي يبدو شهوان نهماً أكولاً شديد الطمع ، يفعل كلّ شيء في سبيل استبقاء سطوته وموارد خزانته ، وهو إلى ذلك مثال للشهوة المحرّمة والشذوذ الجنسي ونموذج للقوّة الجسدية الطاغية والحقد ، على عكس « برومثيوس » الذي ينصبّ عليه غضب « زيوس » وبقية الأرباب . فبرومثيوس الذي يفترض فيه أن يكون رمز الشرّ في مقابل كبير الأرباب ، هو معلّم الذي هدى الإنسان إلى سرّ النار ، وألهمه السعي في طلب البقاء ، وبصّره بالمجهول من خفايا الكون الذي يعيش فيه[1].

هكذا استقرّت قضية الشرور في الحضارات القديمة على تصوّرات مختلفة ، وشهدت فكرة الشرّ الكوني تنامياً على هذا الخطّ ، فعند المصريين الخير شريعة تستتبّ عليها الأُمور ، والشرّ مروق من تلك الشريعة وإخلال بالنظام الذي استتبّ عليه . وعند الهنود الكون الظاهر كلّه باطل وزيف وشرّ ، ولا خير فيه غير الإعراض عنه والنفاذ إلى ما وراءه ، في حين غدا الشرّ في حضارة بين النهرين « بابل / العراق » مسألة فلكية ، صار فيها الخير والشرّ مقسومين بين السعود والنحوس كما سطّرت في أزياج الكواكب ودارت عليها الأفلاك . أمّا الحضارة اليونانية فالخير فيها مسألة حظّ ، والشرّ فيها مسألة اعتراض

---

١ . العقاد ، إبليس ص٢٦٧ ـ ٢٧٦ .

لذلك الحظّ الذي لا حيلة فيه للمحظوظ ولا للمعترض عليه[1].

الأديان الكتابية ومسألة الشرّ

برز إلى جوار هذا التنظير الذي تختلط فيه تأثيرات الدين بالفكر الإنساني ، تنظير آخر لفكرة الشرّ الكوني ولمسألة الشرور عامّة ينتسب إلى الأديان الكتابية الكبرى . تتكثّف فكرة الشرور في الديانة العبرية بالشيطان ، لكن دون وضوح كبير كالذي برز بعدئذٍ في الديانة المسيحية ثمّ في الإسلام ، بل حتّى دون أن يذكر إسماً في المصادر القديمة لهذه الديانة ، وإنّما كان ذكره يجيء على الوصف لا على التسمية ، فيوماً إليه مرّة أنّه الخصم وأُخرى أنّه المقاوم في الحرب ، إلّا ما جاء في الإصحاح الحادي والعشرون من سفر الأيّام أنّه : « وقف الشيطان ضدّ إسرائيل » .

الشيطان في الوعي العبراني لم يكن منعزلاً عن الملائكة ولا محروماً من الدخول إلى حياض الحضرة الإلهية ، حتّى وهو يمارس دور الواشي الموغر للصدور في قصّة النبي أيّوب عليه السلام ، فكان يحضر بين الله مع الملائكة[2].

لكن مع المسيحية اكتسب الشيطان الذي يرمز إلى الشرّ الكوني دور عامل فعّال ، وصارت له صورة واضحة وراسخة ، وذكر باسم الشيطان ، واسم « روح الضعف » واسم

---

١ . المصدر السابق ص ٢٨٠ ـ ٢٨١ .

٢ . المصدر السابق ص٢٨٣ ـ ٢٩١ .

الشرّير ، واسم رئيس هذا العالم ، واسم « بعلزبول » الذي قيل في معناه أنّه رئيس الشياطين . إبليس في الوعي الديني المسيحي الرمز الكبير للشرور ، وله سلطان على ممالك العالم ، لكن سلطانه وسيادته ليسا مفصولين عن إله الكون ، فهو مخلوق لربّ الأكوان ، لله ربّ العالمين ، ولا يمكن ممارسة دوره إلّا بمشيئة الإله القادر على كلّ شيء ، بعكس ما كانت عليه الصورة في الثقافات البشرية التي تفصل في الخلق بين إلهين وسلطتين ، إله الخير الذي يستقلّ بسلطة الخير والنور ، وإله الشرّ الذي يستقلّ بسلطة الشرّ والظلام . ثمّ إنّ هذه الديانة تذهب ـ وهذا هو الأهمّ ـ إلى أنّ وجوه إبليس الذي يمارس الشرّ الكوني لا ينفصل من حكمة الوجود كلّه .

من نصوص هذا الدين عن إبليس : « من يفعل الخطيئة فهو من إبليس ، لأنّ إبليس من البدء يخطئ ، ولأجل هذا ظهر ابن الله لكي ينقض أعمال إبليس » .

كما في هذه النصوص ما يشير إلى تسمية الحيّة بالشيطان من باب التمثيل الحسن ، فحيث تذكر التنين ، تقول عنه : « إنّه التنين العظيم ، الحيّة القديمة المدعو إبليس والشيطان الذي يُضلّ العالم » .

هذا التصوّر يبدو متباعداً ـ وربما مكمّلاً ـ للتصوّر الديني العبراني إذ لم تزد الكتب العبرية أو اليهودية على وصف الشيطان بأنّه واحد من الملائكة المغضوب عليهم أو واحد من الأرواح المتمرّدة ، حيث تغيب عن هذا التصوّر الرؤية الأشمل التي تضعه فيه المسيحية ، وهو يمارس دوراً على مستوى الوجود برمّته ، وله سلطانه على الشرّ وعلى

العالم الأرضي ، فكلّ صنيع يوصف بالشرّ فهو من عمله ، وكلّ خطيئة أو غواية أو ضلالة أو عاقبة محذورة فإنّما تنسب إليه[1].

اوريجين ومسألة الشرّ

شهدت فكرة الشرور من خلال الشيطان تنامياً مشهوداً على خطّ الفكر الديني للمسيحية عبر القرون ، بحيث عكست كلّ مرحلة من التنظير المستوى العلمي الذي ساد فيها . عادة ما يشار هنا إلى ترتوليان « ت : ٢٣٠م » واوريجين « ت : ٢٥٤م » وما قدّماه من فهم للطبيعة الشيطانية ، وكيف يرصد الشيطان الأكبر شيطاناً من جنوده لكلّ إنسان من بني آدم وحوّاء ، لكن مع ذلك فإنّ المسيحي المؤمن بقدرة السيّد المسيح المستقيم على نهجه يستطيع مواجهة اغواء هذه الشياطين ويملك السلطان النافذ عليها .

مع ذلك كلّه ميّز اوريجين بين دواعي الشرّ التي يوحي بها الشيطان وجنوده ، ودواعي الشرّ التي ركبت في طبيعة الإنسان ، وهي شهوات الطعام ولذّات الجسد وفي مقدّمتها اللذّة الجنسية . وجسر الالتقاء بين هذين الضربين من دواعي الشرّ أنّ الشيطان يسخّر هذه الشهوات في الإنسان ليدفعه إلى المزيد منه ، بحيث لم يثبت الشيطان قدرته على الغواية والشرّ كما أثبتها على هذا النحو .

كما أسند أوريجين الشرّ والخطيئة إلى سيادة هذا العالم المعيش وطغيانه وأنّ هذا

---

١ . المصدر السابق ص٢٩٨ .